

قصص الأنبياء

71

صلى الله عليه وسلم (15)

خروج إلى الطائف

بتالم : د. عبد الرحيم عبد المقصود

رسوم : د. عبد الشافى سيد

إشراف : د. حمدى مصطفى





بعد نقض الصحيفة الظالمة ، وفك الحصار عن النبي ﷺ ، وعشيرته وأصحابه ، لم يسلم النبي ﷺ من أذى ، وكان عمّه أبو طالب يدفع عنه الأذى ،

وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُخْفَفُ عَنْهُ
مَا يُلَاقِي مِنْ تَكْذِيبِ الْكُفَّارِ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ
دُعَوْتِهِ ..

وَلَكِنَّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُوفِيتْ، وَتُوْفَى أَبُو طَالِبٍ
بَعْدَهَا بَقْلِيلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَورَةِ
بِشَلَاثِ سَنَوَاتٍ .. وَحَزَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَوْتِهِمَا؛ لِأَنَّ
قَرِيشًا نَالَتْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ
فِيهِ فِي حِيَاةِ أَبِي طَالِبٍ، لِدَرْجَةِ أَنَّ أَحَدَ سُفَهَاءِ قَرِيشٍ
اعْتَرَضَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنُشِرَ عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابُ، وَدَخَلَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَهُ وَالْتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ
إِحْدَى بَنَاتِهِ، وَأَخْذَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ، وَهِيَ تَبْكِيُّ،
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا :

- « لَا تَبْكِي يَا بُنْيَةً ، فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعُ أَبَاكَ » ..

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

- « مَا نَالَتْ مِنِّي قَرِيشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى ماتَ
أَبُو طَالِبٍ » ..

ولما مرض أبو طالب مرض الموت ،
ذهب إليه أشراف قومه ، وقالوا :

ـ يا أبا طالب ، إنك تعلم منزلك منا ، وقد
حضرك الموت ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن
 أخيك ، فادعه ، فخذ له منا ، وخذ لنا منه ،
ليكف عننا ونكف عنه ، وليرد علينا ودينا وندعه
ودينه ، فبعث أبو طالب إلى النبي ﷺ ، فلما
جاءه قال له :

ـ يا بن أخي ، هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا
لك ؛ ليعطوك ، وليرأذدوا منك ..
فقال رسول الله ﷺ :

ـ « يا عم ، كلمة واحدة يعطونها ، تملكون بها
العرب ، وتدين لكم بها العجم » .

فقال أبو جهل :

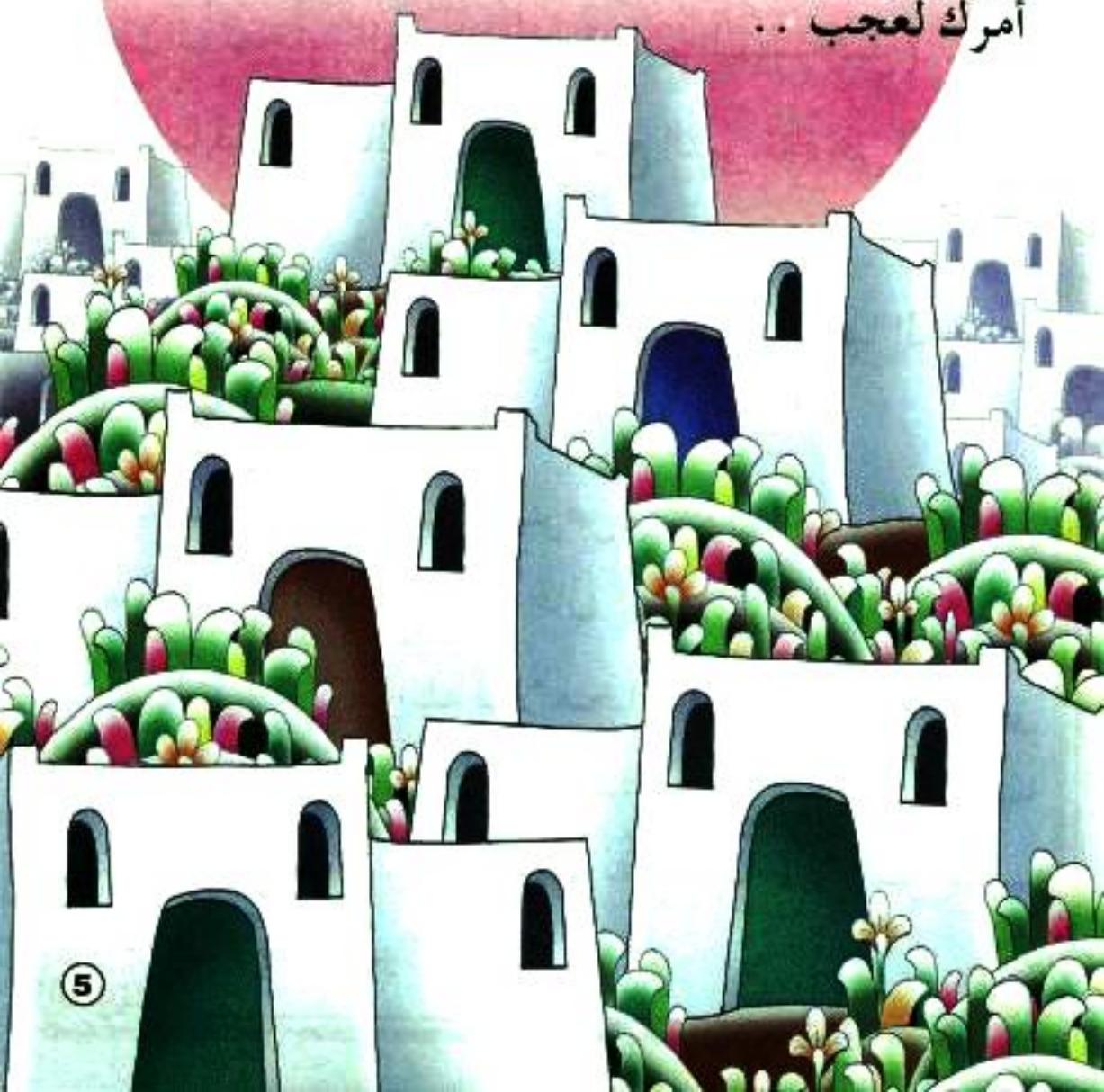
ـ نعم وأبيك وعشرون كلمات ..

قال عليه :

— تَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَتَخْلُعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِهِ » ..

فَصَفَقُوا بِأَيْدِيهِمْ ، وَقَالُوا :

— أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ، إِنْ
أَمْرَكَ لِعَجَبٍ ..



ثُمَّ قَالُوا لِبَعْضِهِمْ :

- وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّداً لَنْ يَعْطِيْكُمْ شَيْئاً مِمَّا تُرِيدُونَ ،
فَانْتَلِقُوا وَامْضُوا عَلَى دِينِ آبائِكُمْ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ .. ثُمَّ انْصَرَفُوا ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ :

- وَاللَّهِ يَا بْنَ أَخِي ، مَا رَأَيْتَكَ سَأْلَتْهُمْ شَطَطًا .. (أَيْ
أَنْكَ لَمْ تَتَجَازِ الْقَدْرَ وَتَطْلُبْ مِنْهُمُ الْمُسْتَحِيلَ) .

فَلَمَّا قَالَ أَبُو طَالِبٍ ذَلِكَ ، طَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِسْلَامِهِ ،
فَأَخْذَ يَقُولُ لَهُ :

- « أَيُّ عَمٌ ، فَإِنْتَ فَقْلُهَا ، أَسْتَحْلُ لَكَ بِهَا الشَّفَاعَةَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ..

فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ حَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى
إِسْلَامِهِ وَنُطْقَهِ الشَّهَادَةِ ، قَالَ :

- يَا بْنَ أَخِي ، وَاللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ السُّبَّةِ عَلَيْكَ وَعَلَى
بَنِي أَبِيكَ مِنْ بَعْدِي ، وَأَنْ تَظُنَّ قَرِيشَ أَنِّي إِنَّمَا
قَلَّتْهَا جَزْعًا مِنَ الْمَوْتِ لَقَلَّتْهَا ، لَا أَقُولُهَا
إِلَّا لِأَسْرُكَ بِهَا ..

فَلِمَّا اقْتَرَبَ الْمَوْتُ مِنْ أَبِي طَالِبٍ نَظَرَ إِلَيْهِ
أَخْوَهُ الْعَبَّاسَ ، فَلِمَا رَأَاهُ يُحَرِّكُ شَفَتِيهِ ، قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ
- يَا بْنَ أَخِي ، وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَ أَخِي الْكَلْمَةَ الَّتِي أَمْرَتَهُ
أَنْ يَقُولَهَا ..

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ :

- « لَمْ أَسْمَعْ » ..

فَلِمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ ،
مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَنْلَهُ فِي حِيَاةِ عَمِّهِ ..

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ إِلَى الطَّائِفِ لَاجِئًا إِلَى قَبِيلَةِ
ثَقِيفٍ يَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ حِمَايَتَهُ
مِنْ قَوْمِهِ ، وَنَصْرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْعَ أَذَاهُمْ عَنْهُ ..

فَلِمَّا وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ إِلَى الطَّائِفِ ، تَوَجَّهَ إِلَى ثَلَاثَةِ إِخْوَةٍ هُمْ
سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ ، وَهُمْ : عَبْدُ يَالِيلَ ، وَمَسْعُودَ ،
وَحَبِيبُ أَبْنَاءِ عُمَرٍو بْنِ عَمِيرٍ بْنِ عَوْفٍ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، ثُمَّ

طلب منهم نصرته على نشر دين الإسلام ..
قال له أحدهم :

ـ أنا أمرق ثياب الكعبة ، إن كان الله أرسلك ..
وقال الآخر :

ـ أما وجد الله أحدا غيرك لي رسالة رسول؟ !
وقال الثالث :

ـ والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله ،
كما تقول ، فأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ،
ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك ..

فقام رسول الله ﷺ من عندهم ، وقد آلامه عدم
هداية ثقيف إلى الإسلام .. وقال لهم :

ـ «إذ فعلتم ما فعلتم ، فاكتُموا عنى» ..

فقد كره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه خبر قدومه
إلى ثقيف ، ورفضهم له ، فيشجعهم ذلك على النيل
منه ، لكنهم لم يفعلوا ، وأغروا به عبيدهم

وَصِبَانِهِمْ وَسُفَهَاءِهِمْ يَسْبُونَهُ وَيَقْذِفُونَهُ بِالْحَجَارَةِ ،
حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ ثَقِيفٍ ، فَلَجَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ
إِلَى حَائِطٍ بُسْتَانِ لَعْبَةِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةِ بْنِ رَبِيعَةَ ،
وَرَجَعَ عَنْهُ سُفَهَاءُ ثَقِيفٍ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ
تَحْتَ كَرْمَةِ عَنْبٍ يَحْتَمِي بِهَا مِنْ حَرَّ الشَّمْسِ ، وَابْنًا
رَبِيعَةَ يَنْظَرُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ
قَائِلاً :



« اللَّهُمَّ أَشْكُوكَ إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقَلَّةَ

حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ .. يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَى مَنْ تَكْلُنِي ؟
إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمْنِي أَمْ إِلَى عَدُوِّ مَلَكَتِهِ أَمْرِي ؟ إِنْ لَمْ
يَكُنْ بِكَ عَلَى غَضَبٍ فَلَا أُبَالِي ، وَلَكَنْ عَافَيْتَكَ هِيَ
أَوْسَعُ .. أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقْتَ لِهِ الظُّلُمَاتُ ،
وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ،
أَوْ يَحْلُّ عَلَيَّ سُخْطَكَ .. لَكَ الْعُتْبَى (الرِّضا) حَتَّى
تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » ..

فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ عُتْبَةً وَشِيبةً ابْنَ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ لَهُمَا
خَادِمٌ نَصْرَانِي يَدْعُ عَدَاسَ ، فَقَالَا لَهُ :

خَذْ عَنْقَوْدَا مِنَ الْعَنْبَ ، فَضَعْهُ فِي هَذَا الطَّبَقَ ،
وَأَذْهَبْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْجَالِسِ هُنَاكَ ، فَقَلَّ لَهُ
يَأْكُلُ مِنْهُ ..

فَحَمَلَ عَدَاسُ الطَّبَقَ وَبِهِ الْعَنْبَ ، وَذَهَبَ إِلَى

رسول الله ﷺ ثم قال له :

- كُلْ ..

قال رسول الله ﷺ :

- «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ..

ثم بدأ يأكل ..

فنظر عداس في وجه رسول الله ﷺ ، وقال :

- والله ، إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ..

قال له رسول الله ﷺ :

- «وَمَنْ أَهْلِ أَيْ الْبَلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسَ؟ وَمَا دِينُكَ؟» .

قال عداس :

- نصراني من أهل نينوى ..

قال رسول الله ﷺ :

- «مَنْ قَرِيهَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ يُونُسَ بْنُ مَتَّى؟» .

قال عداس :

- وما يدريك بيونس بن متى؟

فقال رسول الله ﷺ :

- « ذاك أخى ، كان نبِيًّا ، وأنا نبِيٌّ » ..

فمال عدَّاس على رسول الله ﷺ ، وأخذ يقبل رأسه
وينديه وقدميه ..

فلما رأى ابْنَا رَبِيعَةَ ذَلِكَ ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ :

- لَقَدْ أَفْسَدَ مُحَمَّدًا عَلَيْكَ غَلَامَكَ ..

فلما رجَعَ إِلَيْهِمَا عَدَّاسَ قَالَ لَهُ :

- مَلَادًا تَقْبِلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ وَيَدِيهِ وَرِجْلِيهِ ؟ !

فقال عدَّاسُ :

- مَا فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ .. لَقَدْ
أَخْبَرْنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ ..

فقالَ لَهُ :

- لَا يُصْرِفُنِكَ هَذَا الرَّجُلُ عَنْ دِينِكَ ؛ فَإِنَّ دِينَكَ
خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ ..

وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) إِلَيْهِ مَلِكَ الْجَبَالِ ، فَقَالَ لَهُ : - إِنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ فَإِنْ أَمْرَتَنِي أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ (وَهُمَا جَبَلَانِ بَعْدَكَةَ) فَعَلْتُ .. فَرَفِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُوقَعَ الْأَذَى بِأَهْلِ مَكَّةَ ، وَقَالَ لِمَلِكِ الْجَبَالِ :



- لعلَ اللَّهُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ ،
وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » ..

ثُمَّ دُعَا بِقَوْلِهِ :

- اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » ..

وَفِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَخْلَةَ ،
وَقَامَ بِاللَّيلِ يَصْلُى ، فَصَرَفَ اللَّهُ (تَعَالَى) إِلَيْهِ نَفْرَا
مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَآمَنُوا بِهِ ،
وَلَمْ يَشْعُرْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ
بِالْقُرْآنِ ، فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) بِذَلِكَ ..

وَأَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِلْكَ النَّخْلَةِ عَدَّةَ أَيَّامٍ ، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّحِيلَ
إِلَى مَكَّةَ ، قَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ :

- كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَى قَرِيشٍ مَكَّةَ وَقَدْ آذَوكَ وَأَخْرَجُوكَ ؟ !

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

- يَا زَيْدُ ، إِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرْجًا وَمَخْرَجًا ،
وَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرٌ دِينِهِ ، وَمُظْهِرٌ نَبِيِّهِ » ..

فَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ إِلَى مَشَارِفِ مَكَّةَ ، أَرْسَلَ رَجُلًا
مِنْ حُزَّارَةَ إِلَى الْمُطَعْمَ بْنَ عَدَى ، طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي
جَوَارِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُطَعْمَ بْنَ عَدَى أَنَّهُ وَافِقٌ عَلَى أَنْ
يَحِيرَهُ ..



ثُمَّ دَعَا الْمُطَعْمَ بْنَيْهِ وَقَوْمَهُ ، وَقَالَ لَهُمْ :

— الْبُسُوا السَّلَاحَ ، وَكُونُوا عِنْدَ أَرْكَانَ الْكَعْبَةِ ؛

لِحَمَاءَةَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنِّي قَدْ أَجْرَتَهُ ..

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ فِي جَوَارِ الْمُطَعْمِ بْنِ عَدَى ،

فَطَافَ بِالْكَعْبَةِ ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لِلَّهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى

بَيْتِهِ ، وَالْمُطَعْمَ بْنَ عَدَى وَوْلَدُهُ مُحِيطُونَ بِهِ بِالسَّلَاحِ ،

يَحْمُونَهُ مِنْ قَرِيشٍ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ ..

(يَتَّبع)

رَقْمُ الْإِبْدَاعِ : ٤ - ٣ / ٧٣ - ٢٠

الْتَّرْقِيمُ الدُّولِيُّ : ١ - ٨٩٧ - ٢٦٦ - ٩٧٧

فُصُورُ الْأَنْبِيَاءِ

الْكِتَابُ التَّالِي

مُحَمَّداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

(١٦)

الإِسْرَاءُ وَالْمَرْأَةُ

● احْرِصْ عَلَى اقْتِنَاهُ ●